حوليات آداب عين شمس المجلد 50 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2022)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الخَرَزاتُ والرُّقى في العَصْرِ الجاهِلِيِّ

علي عبد العزيز علي أبو سنينة*

قسم اللغة العربية وأدابها
iamali396@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/8/26
تاريخ قبول البحث: 2020/9/25
تاريخ النشر: 2022/12/29

المستخلص:

يُحاوِلُ الباحِثُ البَحْثَ في الأصولِ الدينية لخَرَزاتِ العَرَبِ ورُقاهُم في العَصْرِ الجاهليِّ، فَيَسْعى بِدايةً إلى قراءةِ فنِّ السّحر ومكانتِه في عَقيدةِ الإنْسانِ البدائيِّ، والدَّوْرِ الذي حَظِيَه الكاهِنُ والسّاحِرُ والعرّافُ في مجتمعِه، لِيَلِجَ إلى تَفْسيرِ بعضِ الأدواتِ السِّحْريَّةِ التي كانَت بأيْدي تلكم الطَّبَقةِ من الكُهّان والعرّافينَ، فَيَقرَأَ خَرزاتِ العرب وقُوَّتَها الرّوحيّة المُسْتَمَدّة مِنَ الموتيفاتِ البدائية المُنْبَثِقة مِنْها والرّامِزة إليْها، لِيُقَسِّمَها بَعْدُ وَفْقَ الخُطوبِ التي اخْتَصَّت بها كلٌّ واحدةٍ مِنها، ثُمَّ يذهب إلى قراءةِ رُقى العَرَبِ، مُسْتَنْمِيًا أثرَ الكلمةِ في الشِّفاء مِنَ الدّاء، مُتَّخِذًا نَماذِجَ مِنْها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2022.

تأسيس:

آمنَ الإنسانُ في طَوْرٍ مِن حياتِه بقوى روحيَّة فاعلة تَسري في مظاهرِ الكَوْنِ، ذلك الطَّور الذي سادت فيه الأرواحُ والأطيافُ، وبلغَتْ قوَّةُ الإنسانِ الرّوحيّة مبلغًا جعلتْه يَرى في بزوغِ القمرِ وأفولِه، وشروقِ الشّمْسِ وغروبِها، وتقلُّبِ اللّيلِ والنّهار، وتبدّلِ الفصولِ وجريانِ الأنهارِ ونزولِ الأمطار، وقَهْقَهةِ الرُّعودِ ووميضِ البروقِ وهبوبِ الرِّياحِ ونُضْجِ الثِّمارِ قُوَّةً غير مرئيَّةً تحكُمُها. وما أشبهَه حينَئِذٍ بِطِفْلٍ أُصيبَ بدهْشَةِ الأشياء!

كما آمنَ بِقوَّتِه الرّوحيّة القادرةِ على حَثّ مظاهرِ الطَّبيعةِ والتأثيرِ فيها، وأنَّ الوسائلَ المُفْضِيَة لِتَجَنُّبِ المصائبِ بيَدِه، وأنَّه يستطيعُ أن يُعَجِّلَ في سَيْرِ الفُصولِ أو يُبطِئَ مِنْها بِفَنِّ السِّحْر، فاتَّفقَ له أن أجْرى طُقوسًا سحريَّةً مِنْ شأنِها مساندَةُ القُوى النّافعةِ للتغلّب على القُوى الضارَّةِ، ذلكَ أنَّ هذه " الأرواحَ تنقسِمُ عندَه إلى أرواح مصادِقة أو أرواح مُعادِية، وإلى أرواح نافعة أو أرواح ضارّة، وإلى أرواح سهلة أو أرواح عصيّة، فلا فارقَ بينها عندَه غير درجةِ الصُّلْحِ والعداوةِ أو درجةِ الفائدة والأذى، أمّا طبيعةُ الخيرِ والشَّرِ فقد جاءت بعدَ مراحل كثيرة في طريقِ الإيمانِ بالأرواح"[1].

بذا، فقد سَبَقَ فنُّ السِّحْرِ بزوغَ الديانات وميلادَ آلهتِها، فالبدائيُّ في تَوسُّلِه إلى تِلْكم الأرواح والأطيافِ لَمْ يكنْ يَرجو سوى تَرويضِ النّافعِ واتّقاءِ الضّار مِنها لمصلحتِه، تَأسيسًا على اعْتقادِه بسُلْطانِ كلٍّ مِنها على ما اخْتَصَّتْ بِه، دونَ أنْ يعْهدَ إليْها خَلْقًا ما، فَضْلًا عن خَلْقِ الكَوْنِ الذي يَحتوي جميعَ الأشْياء، ولعلَّ ذلك ما يُفَسِّرُ جَعْلَ الأقْدمينَ في مراحل لاحِقةٍ مِنَ الانْتقالِ مِنْ عبادةِ الرّوح المتسلّطة إلى عبادةِ الإله المتسلّط صِفَةَ الخَلْقِ تابعة لِصِفَةِ السِّيادةِ والسُّلْطان[2].

وعندَ مُطالعةِ تَركيبِ نظامِ المجتمعِ البدائيِّ السّاذجة، والخالِيَة من التَّعقيد الطَّبَقِيِّ، نجد أنَّ معظم أفراد ذلكم المجتمع قد كانوا مُشاركينَ فعّالينَ في أداءِ تِلْكم الطُّقوسِ السِّحْرية، يَنْدمِجونَ خلالَها مع الكَوْنِ ومظاهره الطَّبيعيّةِ وتجليّاتِه، إذ لَمْ تَكنْ ثَمَّةَ آلهة ولا معابد ولا كَهنة، أي "لَمْ تَظهَرْ بَعْدُ ديانات تُحتمُ هَيكلة المُجتمع وتقسيمَه طَبقيًّا بينَ قدسيٍّ ودنيويٍّ، ليَجْرِيَ وَفقها ظهورُ طَبقةٍ مِنَ الكَهَنةِ تُشْرِفُ على أداءِ تِلْكم الطُّقوس، وتَتْلو قُداسَ الآلهةِ أمامَ جُمْهورٍ مِنَ المُسْتَمِعينَ، فالقوَّةُ الروحيَّةُ كانت شائعةً بيْنَهم، دونَ أنْ تكونَ حِكْرًا على طبقةٍ دونَ سواهم"[3].

جَرَتِ البشريَّةُ في تاريخِها الروحيِّ شَوْطًا، بَل أشْواطًا ارْتَقَت خلالَها من الاعْتقادِ بالأرْواح ذاتِ السِّيادةِ إلى الاعْتِقادِ بالآلهةِ ذاتِ السِّيادة، ومِنَ الاعْتقادِ بالقُوى غيرِ المُشَخَّصَة السّارية في الطَّبيعَةِ إلى الاعْتِقادِ بالآلِهةِ المُشَخَّصةِ، فَلَئِنْ كانت في طَوْرِها الرّوحيِّ السّابقِ تُسْنِدُ تَبَدّلَ الفُصولِ إلى هاتيك الأرواح، وما يدورُ مِن غلبةِ بعْضِها وانْتِصارِ بعضٍ، فإنَّها في طَوْرِها الدّينيِّ اللّاحِقِ قَدْ أسْنَدَت ذلكم التَّبَدُّلَ إلى ظاهرةِ مَوْتِ الإله وانْبِعاثِه، "وهكذا، فإنَّ النَّظريَّةَ السحريَّةَ القديمةَ التي تُعلِّلُ الفصولَ احْتَلَّتْ مكانَها، أو بالأحْرى أُضيفَتْ إليْها، نظرية دينيّة، فَلَئِنْ أصبحَ النّاسُ يعْزونَ دوْرةَ التغيُّرِ السنويّة إلى تغيُّراتٍ مُماثلةٍ في الآلهةِ، فإنَّهم ظلّوا يعتقدونَ أنَّهم بِقيامِهم ببعضِ المراسيمِ السحريّةِ يستطيعونَ أن يساعدوا الإله، وهو مبدأ الحياة، في كفاحِه مع مناوئِه مبدأ المَوْت، وظنّوا أنّهم يستطيعونَ أن ينعِشوا قواه الخائِرة، بل وأن يُنْهضوه مِن بَيْنِ الأمْوات"[4].

فَلَئِنْ كانتِ القُوى الرّوحيَّة مَنْ تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الأسبابِ والنَّتائج في الطُّقوسِ السِّحْريَّةِ، فَإنّ الآلهة قَدْ غَدَتْ ذلكم الوسيطَ بيْنَ تلْكم الأسبابِ والنَّتائِجِ في الطُّقوسِ الدّينيّة.

بذا، "فَإنَّ في أسْبَقيَّةِ السِّحْرِ على الدّينِ لَحَقيقةً تؤكِّدُها الأسطورةُ كما أكَّدَها الطَّقْسُ، حيْثُ يَظْهَرُ في عددٍ مِنَ الأساطيرِ لجوءُ الآلهةِ إلى فنِّ السِّحْرِ بُغْيةَ تَحقيقِ مراميها الصَّعْبَة، ففي أسطورةِ التّكْوينِ البابليّةِ (الإينوما إيليش) يقومُ إيا بِصُنْعِ دائرةٍ سحريّةٍ يضربها حولَ رفاقِهِ لِحمايتِهم أثناءَ المعركةِ مع آبسو وأتباعِهِ، وعندَما يلتقي الجمعانِ ينطقُ إيا بتعويذتِهِ السِّحريّة التي تشلُّ خصمَه"[5]:

إيا العليمُ بكلِّ شيءٍ، قد نفذّ ببصيرتِه إلى خُطَطِهم

فابْتَكَر دائرةً سحريّةً ضَرَبَها حولَ رفاقِه

وَبِتَأنٍّ نَطَقَ تعويذَتَه المقدَّسة المُسَيْطِرة

رتَّلها وأحاطَ بها سطحَ الماء (آبسو)

فَجَلَبَ عليْه النَّوْمَ العميق[6]

وفي المعركةِ الثّانيةِ التي جَرَتْ بين الإله مردوخ ابن إيا والإلهة الأم تعامة، كانت كلمةُ مردوخ السِّحْريّة أقوى سلاح يتجهَّزُ به للمواجهةِ الحاسمةِ[7]:

أتَوْا بِثَوْبٍ فَوَضعوه في الوسط

وقالوا لِبِكْرهم مردوخ:

سُلطانك أيُّها الرّب هو الأقوى بيْنَ الآلهةِ

لِيَفْنَ الثَّوْبُ بِكَلِمةٍ من فِمك

ولْيَرْجِعْ سيرَتَه الأولى بكلمةٍ أُخرى

فأمرَ بِفناءِ الثَّوْبِ فزال

ثمَّ أمَرَ به فعادَ سيرتَه الأولى

فلمّا رأى آباؤه الآلهة قوَّةَ كلمتِه

ابْتَهجوا وأعطوا ولاءَهم: مردوخ مَلِكًا

وفي أسطورةِ (نرجال وإريشكيجال) عندَما يَرْجِع نرجال مِنَ العالَمِ الأسفل، يقوم أبوه (إيا) بطقْسٍ سحريٍّ خاصّ لتغيير هيئةِ نرجال، فلا يتعرَّف إليْه رسول إريشكيجال (نمتار) إذا جاء في طلبه:

ها قَدْ وَصَلَ ابنُ عشتار، إنَّ إريشكيجال سوفَ تبحَثُ عنْه

فعلى إيا أبيه أن يرشَّه بماءِ النَّبْع

ويجلس في مجمع الآلهة حاسر الرَّأس يرمش ويرتعِش

وفي أسطورةِ الطّوفانِ البابليِّ – وَفْق ملحمةِ أتراحاسيس– تُجَدِّدُ رَبَّةُ الولادةِ (مامي) الخلْقَ عن طريق أرحامٍ طينيّةٍ تتلو عليْها تعويذةً سحريّةً يلقّنُها إيّاها الإله (إيا/ إنْكي)[8]:

وقال إيا ... بيْنَما يتلو التّعويذة ويكرِّرُها

وطلَبَ من مامي أن تتلو التّعويذة وهو جالس أمامها

فَتَلَتْها مامي، وعندما أنهتْها

صَبّتْها على ما جَمَعَه مِن طينٍ

واقتطعت منه أربع عشرة قطعةً، ووضعت سبعًا على اليمين

ووضعت سبعًا على اليسار، وبيْنهما أقامت قطعة من الآجر

وفتحت لكلٍّ مِنهما سُرَّةً في وسطِه

سبعة أرحام وسبعة أُخَر، سبعة أنتجت رجالًا

وسبعة أنتجت نساء[9]

وفي أسطورةِ هبوطِ إنانا إلى العالمِ الأسفل "يخلِق الإله إنْكي المخلوقيْنِ (كوركالا) و(كولاتور)، ويسلِّمُ الأولَ طعامَ الحياة، والثّاني ماءَ الحياة، فيقومانِ برشِّهما على جُثَّةِ إنانا ستّينَ مرَّةً بطريقةٍ سحريَّةٍ لِتعودَ إنانا إلى الحياة"[10].

لقد شكّلَ ظهورُ الدين في الثّقافاتِ القديمةِ، وبزوغُ قُطْبَي الخَيْرِ والشَّر، عامِلًا حاسِمًا في طَريقِ فنِّ السِّحْر، ومنعَطَفًا أفضى إلى تَخْصيصِه وانْقِسامِه بيْنَ سحْرٍ أبْيَض أُريدَ به نَفْعُ النّاس، ودَرْءُ الأذى عنهم، وعلاجُهم من الأمراض التي قد تُصيبُهم، وإنْقاذُهم من عدوانِ الشّياطينِ والأرواح الشرّيرةِ، يُزاولُه الكهنةُ ورجالُ الدّينِ في المعابدِ عَبْرَ اسْتعانَتِهم بآلهة السِّحْر كالإله إنكي في الدّيانةِ السّومريّة، وبين سحْرٍ أسْوَد أُريدَ به إلحاقُ الأذى والضَّرر والشُّرور بالنّاس، يُزاولُه السَّحَرةُ وبَعْضُ رجالِ الدّين خِفْيةً عبرَ اسْتعانتِهم بالشّياطين والأرواح الشرّيرة وأرواح المَوْتى، وهو السِّحْرُ الذي حرّمتْه الأديانُ والقوانينُ والشّرائعُ.

يَنْهَضُ السِّحْرُ بِقِسْمَيْه الأبيَض والأسودِ على مَبدأيْنِ أساسيّيْنِ؛ هما التّشابه والاتّصالُ، أمّا التّشابُه فيَنُصُّ على الاعتِقادِ بإمكانيّةِ إحداثِ الشيءِ بتقليدِ عمليّةِ حدوثِه، وأنَّ بالإمكانِ صُنْعَ أشياء مُشابِهة للشيءِ الأصليِّ، وإحداث التّأثير على تلْكم الأشياء لِيَنْتَقلَ التّأثيرُ بدَوْرِه إلى الشيءِ الأصليِّ، فمثلًا صنع دُمْيةٍ لِعدوٍّ يُرادُ إيقاعُ الأذى بـه، وَإحداث الأذى للدُّمْيةِ يؤدّي إلى إحداثِ الأذى على العدوِّ، أمّا مبدأ الاتّصالِ فينُصُّ على أنَّ الأشياءَ التي كانت مُتَّصِلة، وأصبحت الآنَ منفصِلة يمكِنُ التأثير على أيٍّ منها بمَعزِلٍ عن الأخرى، مع انْتقالِ التأثيرِ إلى التي لم يُصِبْها الأذى مباشرةً، ومثالُ ذلك أنَّ بمقدورِ السّاحر إذا امتلكَ خصلة شعر شخص ما أو سِنِّه المقلوعة أو أي شيء مِنْه، فإنَّه يستطيع إنزالَ الأذى بذلك الشيءِ لِكَيْ يُسبِّبَ الأذى للشخصِ نفسِه وهو بعيد عنه[11].

السّاحرُ والكاهنُ:

كَانَ الدَّورُ الأكثر أهمية في الكهانةِ العربية يؤول إلى الكاهن، وقد كان اسمُ هذه الشخصية موضوعَ سجلاتٍ طويلة بين مختَلفِ المستشرقين، إذ ينتمي إلى خلفيات كنعانية وآرامية وعربية معًا. يدلّ لفظ الكاهن لدى الساميين الغربيين على الكاهن الديني بامتياز، ذلك الذي يمثّل جماعته أمام الإله، ويقف أمامه خاشعًا، ويؤدّي طقوس العبادة في مكان الجماعة ومواقعها التي يمثّلها[12].

وقد كان لكل قبيلةٍ كاهنُها الخاصُ، فهو من الموهوبين الذين لهم قدرة خفية خارقة، وإلهام الاتصال بالآلهة والأرواح. والاستئناس بها والأخذ منها، والحصول على علم غزير يتعلّق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل إنسان خاصة، أو التأثير عليها بصرف الخير إلى شخص ودفع الأذى عنه، وتوجيه الشرّ إلى شخص يراد توجيهه إليه وإيذاؤه، وكان للكهّان

أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهّن هو أسلوب السجع. ولذلك عرف بسجع الكهّان، وقد امتاز سجعهم هذا باستعمال الكلام الغامض، والتعبيرات العامة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفسيرات متناقضة ومختلفة، وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكّهن[13].

"أمّا السَّاحرُ فهو العالم، والسَّحر عمل تُقرّبَ به إلى الشيطان[14]، يقول ابن قدامة: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة؛ فمنه ما يقتل ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبّب بين اثنين. فقصر السحر على ذكر نوع منه"[15].

وكان العرب الوثنيون يلجأون إليهم في حسم ما ينشأ بينهم من منافرات أو خلافات قبلية أو أسرية أو فردية، أو تأويل ما يقع لهم في نومهم من رؤًى تحتاج إلى تعبير، أو مساعدتهم على معرفة ما يخبّئه الغيب من أحداث أو أشياء وما إلى ذلك، وكانوا يحصلون على جُعْلٍ في مقابله. وكان هؤلاء الكهان يجيبون على ما يوجّه إليهم من استفسارات بكلام مسجوع يُراعى فيه عادةً أن يكون موجزًا غامضًا يحتمل وجوهًا متعددة من التفسير، فضلا عن احتوائه على بعض الغريب من اللفظ، بحيث يستطيع الكاهن عند اللزوم أن يقول إنه لم يقصد هذا المعنى مثلا بل ذاك، ومن ثم لا يُظهر لقُصّاده وطالبي عونه أنه يخطئ كغيره من الناس وأنه ليس بينه وبين عالم الغيب أي اتصال[16].

تعرّف الإنسان إلى العلائق والأصْدافِ والأسَاور فاتّخذ منها زينة وحِلْية كمَا اتّخذ من بعضها تعويذاتٍ ورقًى، وتوصّل إلى صنع دمى بشرية الصورة[17]، كما كان للجاهلي خرزات وأحجار اتخذ من بعضها رقًى ساعدته في درء شرّ، أو دفع مرض، وكانت العرب تعلّقها على أولادهم يتقّون بها العين، وكانت النساء تضعها إما لجلب العين، أو دفعها عنهنّ.

فهناك بين ثنايا الجبال، وبين أعطاف المغاور، صنوف من الخرز مما فصل من شُعب الصخور، وتناولته يد القديم، فأبدعت أشكاله، ونوعّتْ ألوانه، بما سلطت عليه من وهج الشمس، وتسكاب المطر[18].

أُلقيَ في روع المرأة العربية أنّ لكل طائفة من هذا الخرز أثرًا في إصلاح أمرها من اجتلاب خير. أو دفع مكروه، وأعدّ لها السواحر كلمات تلقيها على كل فريق لتستشير ما يطويه، من أثر صالح، وسر كمين. إنّ اختمار الوثنية في المرأة العربية، خُيل لها أنّ في بعض الأحجار مآثرَ وأسرارًا تكشف عنها العزائم والرّقى[19]، وهذه أسماء خرزات العرب وأحجارها:

الهمْرة، والهِنّمة، والصخبة، والصّدحة، والصَّرفة، والعطّفة، والفطسة، والزرقة، والكحلة، والقبلة، وكرّار، والقليب، والرُّبا، واليَنْجَلَب، والضرة، والدّردبيس، والسُّلوانة، هذه سبع عشرة خرزة لكل خرزة منها رُقية[20].

والخرزة معروفة، وقد تكون حجرًا أملس صغيرًا يمتاز بلون أو أكثر، ويحركونها على نحو معين، ويرددون كلامًا مسجوعًا كسجع الكهان، بعضه مفهوم وبعضه طلاسم أو تكاد. وهذا الكلام المسجوع يعرف بالرُّقية، وهي التمائم مما كانوا يدّعون تنفع في الوقاية من عوارض الحياة[21]، ويتضح ذلك في قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[22]

لقد بذل الشاعر قصارى جَهده في دفع الموت عن أبنائه فلم يفلح، حتى التمائم والرقى لم تسعفه في درء الموت عن أحبته.

فالرُّقى مثل التمائم فهي خرزة يُقرأ عليها قراءة معينة ضدّ المرض ينفث فيها على الشخص، أو على شيء يحمله الشخص يقيه المرض أو العين أو السحر.

وفي اللغة "رقى الراقي إذا عوّذ ونفث في عوذته ، يقول ابن الأثير: " الرُّقية العوذة التي رُقي بها صاحب العوذة، كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات"[23]. وفي ذلك يقول سلمة بن الخرشب الأنماري:

تُعَوّذ بالرُّقى من غير خبل وتعقد في قلائدها التميم[24]

من شعائر الجاهليين وطقوسهم، أنهم كانوا يتباركون بالخرز والتمائم والقلائد التي كانت تعلق في بيوتهم أو في أعناقهم أو على دوابهم، وكان لكل خرزة رقية يرددها الناس بغية التخلص من مرض أو سحر أو طلب معونة من الآلهة، ويبدو أنّ هذه الرقى انتقلت إلى عامة الناس من السحرة والكهنة الذين كانوا بدورهم يرددونها في المعابد.

وللخرز عند الجاهليين أهمية كبيرة في السحر، وفي دفع أذى الأرواح والعين، وفي النفع والحب، وأمثال ذلك، خرزة الهبرة ورقيتها: يا هبرة اهْبريه، من إسته وفيه، لماله وبنيه[25]، والهبرة خرزة الحب يستعطف بها قلوب الرجال، إذ كان الكهنة في المعابد يصفنها للنساء كي يستملن بها قلوب الرجال.

ومنها أيضًا الهمْرَة، ورقيتها " أخذته بالهمْرة ولقطات الهذرة، ونفث كيد السحرة، لبرزة مذكرة"[26].

ومن خرزاتهم كذلك خرزة الهنِمة، وهي خرزة يصفها الكهنة والعرّافون للنساء لاستعطاف قلوب الرجال، ورقيتها " أخذته بالهنّمة بالليل زوج وبالنهار أمة"[27]، إن كون الساحر ممثل الدين في الأرض، جعله ملجأ تلتجئ النساء إليه كي يحققن مآربهن، أو يدفعن عنهن الأمراض والشرور والآفات.

إنّ أكثر خرزاتهم إنما يستعملونها في الحبّ والبغض، فهي تراتيل دينية مسجوعة، تشبه في جرسها الموسيقي سجع الكهان، كلماتها غير مفهومة – في معظمها – ومنها خرزة السلوانة، وهي خرزة للبغض بعد المحبة، والسلوة والسُّلوانة كلاهما خرزة شفافة إذا دفنتها في الرمل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء، وهي خرزة تُسحق ويُشرب ماؤها لينسى بها الرجال العاشقون، والسُّلوان والسُّلوانة شيء يُسقاه العاشق ليسلو عن المرأة[28]، وفيها يقول الشاعر:

يا ليت أنَّ لِقَلبي ما يُعَلِّلُهُ أو ساقيًا فسقاني عنكِ سلوانًا[29]

يقول الجوهري:" السُّلوانة بالضم خرزة كانوا يقولون إذا صُبَّ عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا"، وقال الأصمعي:" يقول الرجل لصاحبه: "سقيتني سلوة وسلوانًا أي طيبت نفسي عنك"[30]، يقول عروة بن حزام:

جعلتُ لعرّاف اليمامة حُكْمَه وعرّاف نجدٍ إنْ همُ شفياني

فقالا: نعم نشفي من الداء كلّهِ وقاما مع العوّاد يبتدران

فما تركا من رُقية يعلمانها ولا سلْوة إلا وقد سقياني[31]

والسلوة أيضًا خرزة يشفّ ظاهرها عما وراءه، إذا استشففتها رأيتها كزلال البيض يُسقى نقيعها الحزين فيسلو، والكَلِف فينصرف[32]، قال الشمردل:

ولقد سُقيتُ بسلوة فكأنما قال المداوي للخيال بها ازدد[33]

ومن خرزاتهم الفطسة، وهي خرزة يُسقم بها العدو حتى يموت، ورقيتها: " أخذته بالفطسة، بالثوباء والعطسة، ولا يزال في نعسه من أمره ولبسه حتى يزور رمسه"[34].

والقَبَل والقَبَلة[35] كذلك من خرزات نساء الأعراب وكن يؤخِّذن بها قلوب الرجال، ويتخذنها لإقبال أزواجهنّ عليهنّ ورقيتها "يا قَبَلةُ اقبِلِيه"[36].

ومن الخرزات كذلك: الدردبيس وهي خرزة سوداء، كأنّ سوادها لون الكبد، إذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشفّ كلون العنبة الحمراء، تتحبّبُ بها المرأة إلى زوجها، وموقعها قبور عاد[37]، قال الشاعر:

جمّعن من قَبَلِلهنّ وفطسةٍ والدردبيس تمائمًا في المنظم[38]

وقال آخر:

قطعت القيد والخرزات عني فمن لي من علاج الدردبيس[39]

ومن خرزاتهم الصرْفة، وهي خرزة يصرفن بها الرجال عن مذاهبهم، وشتات أغراضهم[40]، والعطفة وهي خرزة يُعَطّفن بها الرجال إذا قست قلوبهم[41].

ومن خرزاتهم كَرار وهي خرزة يؤلّف بها نساء البادية قلوب رجالهن ورقيته: "يا كرار كرّيه، إن أقبل فسرّيه وإن أدبر فضرّيه"[42].

واليَنْجَلِبْ خرزة يتخذنها للرضا بعد الغضب، والأوْبة بعد النفار، والرجوع بعد الفرار، والعطف بعد البغض[43].

ومن خرزات العرب القِرْزَحْلة، وهي من خرز الضرائر، إذا لبستها المرأة مال إليها بعلها دون ضرتها[44]،يقول ابن الأعرابي:

لا ننفع القرْزَحْلة العجائزا إذا قطعنا دونها المفاوزا[45]

ومن الخرزات التي كن يلبسنها العُقرة؛ وهي خرزة تشدّها المرأة على حِقْوَيها فتمنع الحبل، " قال الأزهري: ولنساء العرب خرزة يُقال لها العقرة، يزْعُمن أنّها إذا علقت على حِقو المرأة لم تحمل إذا وِطئت"[46].

والخَصْمَةُ من خرز الرجال، يلبسونها إذا أرادوا أن ينازعوا قومًا، أو يدخلوا على سلطان، فربما كانت تحت فصّ خاتم الرجل إذا كانت صغيرة، أو في زرّ القميص، وربما جعلوها في ذؤابة السيف[47] قال أحدهم:

يعلّق غيري خصمة في لقائهم وما لي عليكم خصمة غير منطقي[48]

ومن خرزاتهم العَطْفَةُ وهي خرزة العطف، تُعطّف بها النساء قلوب الرجال[49]، والكحْلة خرزة سوداء اجعل على الصبيان لدفع العين عنهم، وهي خرزة العين والنفس تقي من الجن والإنس، فيها لونان بياض وسواد، كالرُّب والسمن إذا اختلطا، وقيل هي خرزة تُستعطف بها قلوب الرجال، وقال اللحياني: "هي خرزة تؤخّذ بها النساء الرجالَ"[50].

ولجأت النساء إلى العرّافين والكهنة والسحرة لاعتقادهن أنّهم على اتصال بعالم الغيبيات؛ بغية استمالة قلوب الرجال، فيقوم العرافون والسحرة والكهنة بتزويد النساء برقىً يستملن بها قلوب الرجال، وقد حفظت الكتب لنا أنموذجات في بعض الرقى، منها هذه الرقية التي استعملت في إشعال نيران الحب: "هوَابَة هوابَة[51]، البرق والسحابة، أخذته بمِركَن[52]. فحبه تمكّن. أخذته بإبره، فلا يزل في عَبره[53]، جلبته بإشفى[54]، فقلبه لا يهدأ. جلبته بمبرد، فقلبه لا يبرد. فهذه الرقية تلهب قلب الرجل وتهيجه، وتجعله كأنه في إجانة غسل الثياب. يعمل وفق إرادة المرأة التي استعملت تلك الرقية[55].

أما إذا سئمت المرأة زوجها وضجرت منه، وأرادت الابتعاد عنه، وطرده عنها، فسبيلها في ذلك رقية تبعد الرجل، وتنفره منهما، فنجدها تردد رقية الفارك[56]، وذلك بأن تقول:" نافرك القمر[57]، وظل الشجر، شَمَالٌ تشْمُله، ودُبُورٌ[58] تدْبِرُهُ، ونَكْبَاءُ[59] تنْكُبُهُ، شيك فلا انتقش[60]، وتعِسَ ولا انتعش. فاذا أتمت ذلك، رمت في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة. ثم تقول: حصاة حصت أثره، ونواة نأت داره، وروثة راثَ خبره، لقعةٌ ببعرة"[61].

كان للجاهليين رأي وعقيدة في العين الحاسدة، وفي أثرها في الحياة، فهم يعتقدون بأثر العين وإصابتها. ولخطر هذه الإصابة وأهميتها، تفننوا في ابتداع وسائل الوقاية منها، وحماية أنفسهم من أثرها، وكانت الرقى من أهم الوسائل التي استخدموها لدفع خطرها ودرء شرّها، إذ كانوا يقولون:" أرقيك من عين عائر، وورم آجر، ونظْرة ناظر، برٍّ أو فاجر، وحفيف طائر، بنجمٍ طالعٍ، وبرق لامعٍ، وديك صاقع"[62].

وكان للمعيون رقية فكانوا يقولون فيها:" من عانك عينُه رحيق، فيها ترب سحيق، ودمه دفيق، ولحمه مشيق"[63].

وكانت المرأة في حقبة ما قبل الإسلام حريصة أشدّ الحرص على غلامها، ترقيه من الشر والآفات والأخطار، فكانت تقول:" أعيذك بالأعلى، من شرّ كل أنثى، مرضعةٍ أو حُبلى، أو عاقر تمرَّى، أو لبؤة لا تُرجى"[64].

ومن رقاهم، رقية العطف التي كان الناس يرددونها بغية استعطاف قلوب بعضهم البعض، فكانوا يقولون:" الريح والبُروق، في الصبح والطُّروق، فلان إن أقبل فنهار آيس، وإن أدبر فشوك طلح يابس، وجبل حابس، وليل دامس"[65].

ومن رُقاهم أن تؤخذ قرعة فتملأ ماءً، وفي أسفلها ثقب بالإبرة يسيل منه كالدمعة وتعلّق، ويُقال "أخذته بدُباء معلق بين سماء، فلا يزال يمشي وعينه تبكي[66]"، ويبدو أن عبارة فلا يزال يمشي وعينه تبكي، جواب الرقية ونتيجتها.

وبعد، هذه خرزات العرب وبعض رقاهم التي كانت من أدوات السحرة والكهنة يصفونها للناس، بغية درء شر، أو إبطال سحر، أو ردّ عين، أو استمالة قلب.

امتدّ هذا البحث ليستوعب جزءًا محدّدًا من قراءة خرزات العرب وبعض رقاهم. كما استطاع التوصل إلى أثر هذه الرقى والخرزات في نفسية العربي وطباعه.

وهكذا، وبعد استعراضي لمادة البحث، لا بد لي من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها البحث، وأهمها:

1. كان الإنسان يؤمن في طَوْرٍ مِن حياتِه بِقوى روحيَّة فاعلة تَسري في مظاهر الكَوْن، وأنّ هُناكَ قوّةً غير مرئية تَحْكُمُهُا.
2. كان الإنسان يؤمن بقوته الرّوحيّة القادرةِ على حَثِّ مظاهر الطَّبيعةِ والتأثير فيها، من خلال اتقانه فنّ السحر، بنوعيه الأبيض والأسود.

3. سَبَقَ فنُّ السِّحْرِ بزوغَ الديانات وميلادَ آلهتِها.

4. كان معظم الناس قديمًا مشاركين فعّالين في أداءِ الطُّقُوس السّحْرية، إذ لَمْ تَكنْ ثَمَّة آلهة ولا معابد ولا كَهنة، أي لَمْ تَظهَرْ بَعْدُ ديانات تُحتمُ هَيكَلة المُجتمع وتقسيمَه طَبقيًّا بينَ قدسيٍّ ودنيويٍّ.

5. استعملت المرأة العربية الخرزات ورقاها بغية استمالة قلوب الرجال، أو درء الأخطار، أو دفع الآفات والشرور.

6. من شعائر الجاهليين وطقوسهم أنهم كانوا يتباركون بالخرز والتمائم والقلائد التي كانت تعلق في بيوتهم أو في أعناقهم أو على دوابهم.

7. كان لكل خرزة رقيتها الخاصة، وَفْقَ الخُطوبِ التي اختَصَّت بها كلُّ واحدةٍ مِنها.

Abstract

The beads and spells in the pre-Islamic period

By Ali Abdel Aziz Ali Abu Sneineh

The researcher tries to find the religious origins of Arabs' beads and spells in the pre-Islamic period. First the researcher seeks to read the art of magic and its place in the creed of the primitive man. And the role of the priest, the magician, and fortune teller in his society, In order to enter into interpretation of the magical tools that were in the hands of the class of soothsayers and fortune-tellers .

So the researcher read the Arabs beads and its spiritual strength which derived from the primitive motifs emanating from them, and symbolizing them .

Then the researcher divided them according to the sermons specialized in each of them .

Finally read the Arabs spells, which shows the impact of the word in the cure of the disease, taking samples from them.

الهوامش

[1] العقاد، عباس محمود، **إبليس**، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط6، 2008، ص9.

[2] يُنظر: المرجع السّابق، ص66.

[3] السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 2001، ص130

[4] فريزر، جيمس، **أدونيس**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت، دار الصراع الفكري، ط1، 1957، ص9.

[5] السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، ص131

[6] السواح، فراس، **الأسطورة والمعنى**، ص131.

[7] المصدر السابق، ص132.

[8] السواح، فراس، **مغامرة العقل الأولى**، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط13، 2007، ص178.

[9] السواح، فراس، **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2006، ص34.

[10] الماجدي، خزعل، **متون سومر**، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص347.

[11] يُنظر: الماجدي، خزعل، **متون سومر**، ص341.

[12] فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة، رندة بعث، ط 1، بيروت، قدمس للنشر والتوزيع 2007، ص 84.

[13] انظر: علي، جواد :**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط 2، بيروت، دار العلم للملايين، 1993مـــ، ج6، ص748.
جـــ6، ص 758–759.

[14] ابن منظور، **اللسان**، مادة سحر.

[15] ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، **المغني**، ط1، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥ ، مجلد 8، ص150.

[16] يُنظر: عوض، إبراهيم: **فصول في الثقافة الجاهلية قبل الإسلام**، ط1، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 2006مـــ ، ص184.

[17] يُنظر : الماجدي، خزعل، **سحر البدايات (التكوين في ريعان فجره)، ط1، دمشق، 2011**، ص34.

[18] عفيفي، عبد الله، **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، ط2، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، 1933، ص123.

[19] يُنظر: المصدر السابق، ص 123.

[20] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، دراسة وتحقيق فهمي سعد، ط1، بيروت، 1988، ص485

[21] يُنظر: جبر، يحيى: **خرزات العرب**، مجلة التراث الشعبي، العددان 11،12، العراق، 1984.

[22] الهذليون، **(الديوان)** نسخة مصورة عن دار الكتب المصري ة(، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر،1965 ، ص1.

[23] ابن منظور ، لسان العرب، مادة رقي.

[24] الضبي، محمد بن يعلي، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط6، 1994، ص9.

[25] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، ص485

[26] المصدر السابق، ص485.

[27] الآلوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرحه يوسف إبراهيم سلّوم، ط1 ، بيروت، لمكتبة العصرية،2009 ، ج3، ص8.

[28] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة سلا.

[29] ابن منظور، لسان العرب.

[30] المصدر السابق، مادة سلا.

[31] عروة بن حزام، **الديوان**، جمع وتحقيق أنطوان محسن القوّال، ط1، بيروت دار الجيل، 1995، ص 39-40.

[32] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة سلا.

[33] المصدر السابق ، مادة سلا.

[34] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، ص485.

[35] **القَبَل**: من أسماء خرز الأعراب. والقبلة: ما تتخذه الساحرة ليقبل بوجه الإنسان على صاحبه. وقال الجوهري: القَبَلُ جمع قبلة وهي ضرب من الخرز يؤخذ بها، وربما علقت في عنق الدابة تُدفع بها العين. والقبلة: حجر أبيض عريض يعلّق في عنق الفرس. للاستزادة انظر اللسان مادة قبل.

[36] ابن منظور، لسان العرب، مادة قبل.

[37] ابن منظور، لسان العرب، مادة دردب.

[38] المصدر السابق، مادة دردب.

[39] السابق، مادة دردب.

[40] يُنظر :السابق، مادة صرف.

[41] يُنظر: السابق، مادة عطف.

[42] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، ص485.

[43] انظر: الآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص8.**

[44] المصدر السابق، ص 8.

[45] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة قرزحل.

[46] المصدر السابق، مادة عقر. الحقو: موقع شدّ الإزار وهو الخاصرة.

[47] السابق مادة خصم.

[48] الآلوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ج3، ص9.

[49] ابن منظور، لسان العرب، مادة عطف.

[50] ينظر: المصدر السابق، مادة كحل.

[51] الهوَابة: النار الملتهبة أو الشمس الملتهبة المتوهجة. وفي رواية الهوّابة بتضعيف الواو.

[52] المركن: وعاء يغسل به الثياب.

[53] عبرة: دمعة.

[54] الإشفى: آلة يستعملها الإسكافي.

[55] علي، جواد :**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط 2، بيروت، دار العلم للملايين، 1993مـــ، ج6، ص748.

[56] الفارك: التي نبغض زوجها.

[57] نافرك القمر: طاولك ولن تطوله

[58] الدبور: ريح تهبّ من جهة المغرب يقال لها الصبا وفي الحديث" نصرت بالرعب وأُهلكتْ عاد بالدبور. انظر بلوغ الأرب، ج3، ص9. وذكرت من الريح الشمال والدبور والنكباء، وهي رياح مشئومة عند العرب،

[59] النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحي الصبا والشمال.

[60] الانتقاش: استخراج الشوك من الرجل. يُقال: إذا شيك فلا انتقش. وهو دعاء على الرجل. وشيك: دخلت الشوكة في رجله. انظر: بلوغ الأرب، ج3، ص9.

[61] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، ص488.

[62] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، **سوائر الأمثال على وزن أفعل**، ص487المصدر السابق، ص487.

[63] المصدر السابق، ص487.

[64] السابق ص 487.

[65] السابق ص 487.

[66] السابق ص488.

المصادر والمراجع:

- الأصفهاني، **حمزة بن الحسن، سوائر الأمثال على وزن أفعل**، دراسة وتحقيق: فهمي سعد، ط1، بيروت، 1988.
- الآلوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرحه: يوسف إبراهيم سّلوم، ط1، بيروت، لمكتبة العصرية، 2009.
- **فراس السواح:**
- **الأسطورة والمعنى**، ط2، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001.
- **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**، ط1، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2006.
- **مغامرة العقل الأولى**، ط13، دمشق، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2007.
- الضبي، محمد بن يعلي، **المفضليات**، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط6، 1994.
- عروة بن حزام: **الديوان**، جمع وتحقيق أنطوان محسن القوّال، ط1، بيروت دار الجيل، 1995.
- عبد الله عفيفي: **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، ط2، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، 1933.

- العقاد، عباس محمود: **إبليس**، ط6، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، 2008.
- جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط 2، بيروت، دار العلم للملايين، 1993ـــ
- إبراهيم عوض: **فصول في الثقافة الجاهلية قبل الإسلام**، ط1، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 2006.
- فريزر، جيمس: **أدونيس**، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ط1، بيروت، دار الصراع الفكري، 1957.
- توفيق فهد: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة، رندة بعث، ط1، بيروت، قدمس للنشر والتوزيع 2007.
- ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد، **المغني**، ط1، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥.
- خزعل الماجدي:

– **سحر البدايات (التكوين في ريعان فجره)**، ط1، دمشق، 2011.

– **متون سومر، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1998.**

- الهذليون، **الديوان** (نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية)، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

الدوريات:

- يحيى جبر: **خرزات العرب**، مجلة التراث الشعبي، العددان 11–12، العراق، 1984.